بالحاجة إليها، فرأيت أن لا مناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والفكر»[1].

الدعوة إلى إصلاح حال المرأة في عصره:

إذن، بداية الدعوة عند قاسم أمين هو إصلاح حال المرأة، لأنه ينعي حالها وما آل إليه مصيرها في عصره، من انحطاط وجهل، وتخلف في ميادين الحياة، بل يعتبر هذا أساس المشكلات التي يواجهها المجتمع المصري، فيقول: «وهذا هو الأصل فيما نشهده ونؤيده الاختيار التاريخي من التلازم بين انحطاط المرأة وانحطاط الأمة وتوحشها، وبين ارتقاء المرأة وتقدم الأمة ومدنيتها، فقد علمنا أن حال المرأة في ابتداء تكون الجمعيات الإنسانية كانت لا تختلف عن حالة الرقيق في شيء، وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلا تحت سلطة أبيها ثم زوجها ثم بعده أكبر أولادها. وكان لرئيس العائلة عليها حق الملكية المطلقة فيتصرف فيها بالبيع والهبة والموت متى شاء، ويرثها من بعده ورثته بما عليها من الحقوق المخولة لمالكها. وكان من المباح عند العرب قبل الإسلام أن يقتل الآباء بناتهم وأن يستمتع الرجل بالنساء من غير قيد شرعي ولا عدد محدود، ولا تزال هذه السلطة الآن سائدة عند قبائل إفريقيا وأمريكا المتوحشة، وبعض الأمم الأسيوية يعتقد أن المرأة ليس لها روح خالدة، وأنها لا ينبغي أن تعيش بعد زوجها، ومنهم من يقدمها إلى ضيفه إكرامًا له كما يقدم أحسن متاع يمتلكه»[2].

أما في البلاد التي ارتقت إلى درجة عظيمة من التمدن فإنا نرى النساء

(1) قاسم أمين، تحرير المرأة، الناشر دار المعارف، بدون تاريخ، ص29.
(2) قاسم أمين، المرجع السابق، ص34.

أخذن يرتفعن شيئا فشيئًا من الانحطاط السابق وصرن يقطعن المسافات التي كانت تبعدهن عن الرجال: «هذه تحبو وتلك تخطو وهذه تمشي وتلك تعدو»، كل ذلك بحسب حال الجمعية التي تنتسب إليها ودرجة المدنية فيها. فالمرأة الأمريكية في أول الصف، ثم تتلوها الإنجليزية وتأتي بعدها الألمانية وتليها الفرنسية ثم النمساوية ثم الإيطالية ثم الروسية.. إلخ، كلها نفوس شعرت أنها حقيقة بالاستقلال، فهي تبحث عن الوسائل لنيله وأنها جديرة بالحرية فهي تسعى للوصول إليها، وأنها من نوع الإنسان فهي تطالب بكل حق للإنسان[1].

والغربي الذي يجب أن ينسب كل شيء حسن إلى دينه يعتقد أن المرأة الغربية ترقت لأن دينها المسيحي ساعدها على نيل حريتها ولكن هذا الاعتقاد باطل، فإن الدين المسيحي لم يتعرض لوضع نظام يكفل حرية المرأة ولم يبين حقوقها بأحكام خاصة أو عامة، ولم يرسم للناس في هذا الموضوع مبادئ يهتدون بها، وقد أقام هذا الدين في كل أمة دخل فيها بدون أن يترك أثرًا محسوسًا في الأخلاق من هذه الجهة، بل تشكل نفسه بالشكل الذي أفادته إياه أخلاق الأمم وعاداتها.

ولو كان لدين ما سلطة تأثير على العوائد لكانت المرأة المسلمة في مقدمة نساء الأرض[2].

هكذا يرى قاسم أمين أن المرأة المسلمة لو طبقت دينها في حياتها لكانت في مقدمة نساء الأرض من الرقي والتمدن والحضارة، بل إن شريعتنا بالغت

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(2) المرجع السابق، ص 35.

في الرفق بالمرأة، فوضعت عنها أحمال المعيشة ولم تلزمها بالاشتراك في نفقة المنزل وتربية الولاد خلافًا لبعض الشرائع الغربية التي سوت بين الرجل والمرأة في الواجبات فقط، وميزت الرجل في الحقوق.

ولا بد أن نأخذ في الاعتبار أن قاسم أمين قد اشتغل بالقضاء والفقه، ومن ثم فمرجعية قاسم أمين وتربيته في الأصل، مرجعية إسلامية، قد نختلف معه في رأي أو أكثر - لكن - لا بد أن نقدر أن أيديولوجيته الفكرية لا تبتعد كثيرًا عن المرجعية الإسلامية.

وينقد قاسم أمين ما آل إليه حال المرأة في نظر الرجل في عصره، من أن الرجل يجلس على مائدة الطعام وحده، وأن يسجنها زوجها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه إلا محمولة على النعش إلى القبر أو يحال بينها وبين الحياة العامة وأي فكر نافع؟

كان قاسم أمين مشخصًا لما آل إليه حال المرأة المسلمة من تخلف وانزواء عن كل ما هو نافع ولذلك يدرك قاسم أمين بثاقب فكره وبعد نظره، أن الطريق إلى الرقي بالمرأة لن يتأتى إلا بالتربية والتعليم.

فهو يعتقد: أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية، فيجب أن تتعلم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك بالاشتغال به متى شاءت.

فإن تعلمت المرأة القراءة والكتابة واطلعت على أصول الحقائق العلمية، وعرفت مواقع البلاد، وأجالت النظر في تاريخ الأمم ووقفت على شيء من علم الهيئة «الهندسة» والعلوم الطبيعية، وكان حياة ذلك كله في نفسها

عرفانها العقائد والآداب الإسلامية، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة، وطرح الخلافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء[1].

يولي قاسم أمين عناية خاصة بتعليم المرأة وتثقيفها، ولو عدنا إلى الوراء لوجدنا أن هذه هي دعوة الإسلام الأولى، فلقد كانت الخنساء من أعلام الشعراء في زمانها، وغيرها الكثير، كما ذكرنا أثناء عرضنا لتحرير المرأة في عصر النبوة، فلا يتناقض ما ذهب إليه قاسم أمين في هذا الصدد مع مبادئ الإسلام السمحة، بل أعتقد أن انزواء المرأة عن ميدان العلم والتعليم هو سبب رئيس من أسباب تخلف الأمة بل يذهب قاسم أمين إلى أبعد من ذلك، نحو ضرورة ربط التعليم بالفضائل الخلقية أو على حد تعبيره الفضائل التي لها أثر في معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة، والفضائل التي يظهر في نظام الأمة.

لقد كانت دعوة قاسم أمين دعوة صارخة لمحاربة الجهل والتخلف في كافة ميادين الحياة.

ولعلنا نتساءل: هل صحيح كانت دعوة قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» إلى السفور والتبرج والإباحية كما يعتقد البعض.. أم دعوة إلى الالتزام بقيم الإسلام؟.

اعتقد من جانبي أن قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» الذي سطره، في وقت كانت المرأة في أمس الحاجة إليه كي تأخذ حظها من التعليم والتمدن.

قاسم أمين ودعوته إلى الالتزام بالقرآن والسنة:

ويرى قاسم أمين أن الالتزام بالشريعة الإسلامية أمر لا ينبغي أن يجادل

(1) المرجع السابق، ص 42.